



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/03/03

تاريخ القبول: 2022/06/14

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

الإمبراطورية والكنيسة في فكر المؤرخ والشاعر الإيطالي

"دانتي أليغييري"

*The Empire and the Church in the Thought of
the Italian Historian and Poet Dante Alighieri*

الهادي عامر

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)

hadiameur1980@gmail.com

الملخص

يحاول المقال إلقاء الضوء على جانب مهم من الفكر السياسي المعروف خلال التاريخ الأوربي ويركز على وجه الخصوص على فكر الشاعر والمؤرخ الإيطالي "دانتي أليغييري" (1265-1321م). ويناقش المقال أيضا أهم النقاط مثار الجدل والمتعلقة بتقديس السلطة الإمبراطورية وعلاقتها بالسلطة الروحية الدينية ممثلة في البابوية ، كل ذلك من خلال أعمال ومؤلفات أهم وأبرز شخصية في العصور الوسطى المتأخرة.

الكلمات المفتاحية: دانتي أليغييري ، البابوية ، الإمبراطورية ، الملكية ، الكوميديا ;

ABSTRACT

The article aims to study an important aspect of political thought known during the European Middle Ages, and focuses in particular on the thought of the Italian poet and historian Dante Alighieri (1265-1321AD). The article also discusses the most controversial points related to the sanctification of imperial authority and its relationship to religious spiritual authority represented in the papacy, all through the works and literature of the most important and prominent figure in the late Middle Ages.

Keywords: Dante Alighieri ; Papacy ; Empire ; Monarquia ; Comedy

مقدمة:

تحتل كتابات المفكر والشاعر الإيطالي "دانتي الجييري" السياسية أهمية تاريخية في وقتها ، فقد كان دانتي بمثابة منظر لإمبراطورية العصور الوسطى. واعتبر كتابه "الملكية" بمثابة " لوحة القبر التي تؤبن الإمبراطورية المقدسة"، ويقف كتابه هذا جنبا إلى جنب مع كتاب السياسة لأرسطو والجمهورية لأفلاطون ورأس المال لكارل ماركس بين أهم الكتب السياسية النظرية . ولكن المشكلة في دراسة الفكر السياسي لدانتي كما يقول الباحث دانتريف تكمن في حقيقة انها لا تستطيع أن تعتمد على كتاباته السياسية وحدها، ولا بد لها أن تغوص في أعماق الكوميديا الإلهية . ففي الكوميديا يحول دانتي المفاهيم السياسية الى صورة شعرية ببراعة لا نظير لها ومن أمثلتها أن فكرة الإنسان كحيوان سياسي التي قال بها أرسطو قبل دانتي بنحو سبعة عشر قرنا كانت متغلغلة في فكر دانتي بعمق، وان كان قد أخضعها لعملية تخلص وتحويل وإخضاع من جانب الشاعر والفيلسوف و الصوفي فيه .

إن تفسير دانتي القوي لشخصيات الباباوات و الملوك و الأباطرة ومصائر المدن والأمم تكمن كلمته الأخيرة في السياسة . لقد عاش دانتي حياة كاملة مستغرقا في تأملات سياسية، وينتهي هذا كله بملاحظة الحزن اللامتناهي أمام عرش متعال في السماء محجوزا للأمر سيئ الطالع الذي كثيرا ما تطلع الشاعر إليه متمنيا أن يكون على يديه تحقيق الفداء لبلده وللعالم ككل.

تحدد اهتمام دانتي بالشأن السياسي ثلاثة عوامل رئيسية أو لعلها مصادر ممكنة للإلهام: المدينة، الإمبراطورية، والكنيسة . ولا يتطابق هذا الإلهام فقط مع المشكلات الرئيسية التي واجهت دانتي في زمانه، بل انها تفسر وتصور التطابق أو المواضع المختلفة التي لا يكون من الممكن بدون مجهود مفرط اكتفاء اثر تطوره الفكري .

وفي ضوء حقيقة قلة المصادر المباشرة التي بقيت لنا بعده عن فترة تأملاته السياسية في سنوات شبابه ، إلا أن صميم فلسفة دانتي السياسية ظل في جوهره مدنيا، فقد مارست خبرة دانتي في فلورنسا المدينة-الدولة أثرا كبيرا على فكره السياسي، وفي هذا الصدد يقول في مؤلفه "في البلاغة الفجة" : " فيما يتعلق بملذات أو شعور الارتياح الحسي لدينا فانه لا وجود لمكان أكثر جمالا في العالم من فلورنسا"، وأيضا : " ولكن بالنسبة إلينا، نحن الذين نعتبر عالمنا هو بلدنا الأصلي، تماما كالبحر للسماك، على الرغم من أننا شربنا من نهر ارنوب قبل أن تنبت أسناننا وعلى الرغم من أننا نحب فلورنسا حبا جما، حتى أن الحب الذي نحمله لنا يجعلنا مخطئين في معاناة المنفى، فإننا نضع حكمنا على عاتق العقل وليس على عاتق الشعور".

لقد كان دانتي شاهد عصره على صعود المدينة الدولة في إيطاليا، الأمر الذي كان له تأثيره العميق على مصائر أوروبا كلها . وكانت المدينة الحرة هي التي شكلت خلفية تأملات دانتي في الشأن السياسي أي المدينة ذات السيادة.

يبدو للوهلة الأولى أن بعضا من فرضيات دانتي كانت أصيلة بصورة قوية بل حتى ثورية، لكن بتمحيصها تظهر انها فرضيات أكل عليها الدهر وشرب ، وبين التطرف والاعتدال يظهر دانتي معرفة عميقة بالقانون الذي اثر في فكره السياسي . كان عقل دانتي منشغلا على الدوام بالشأن السياسي ، فهو الذي حدد مسار حياته ، ووصولاً الى وقت كتابته للفردوس (الجزء الثالث من الكوميديا) لم يكد هناك عمل واحد من أعمال كتبه بعد أن نفي وكان الشأن السياسي غائبا فيه طويلا

، فقد جذب الى المشاركة النشطة في الشؤون السياسية وحول فلورنسا وهو بعد شابا نافعا، و طبقا للتقليد السائد في موطنه فلورنسا كان مستعدا لتأييد البابا، لكنه كان جاهزا بسلاحه للوقوف ضده إذا ما حاول أن يتحرش بمصالح فلورنسا.

قامت نظرية دانتي السياسية على أهمية وجود إمبراطور متحرر من الجشع، لا حدود لصلاحياته وبالتالي لا يرغب في شيء و يمكن بالكلية أن يكون عادلا في حكمه، باعتباره ضرورة لسعادة البشرية. وتقوم هذه النظرية ذاتها بالضرورة على أن البشرية ليست مجرد مجمل كلي لعدد ضخم من البشر، إنما هي كيان يمكن اعتباره كذلك. وهذه الفكرة، التي تتسم ببعد النظر وبعد المنال، هي فكرة مجتمع إنساني عالمي (كلي universal) توفر إطارا للاستدلال العقلي الوسيط وتسلم بمطلب ملكية عالمية لهداية البشرية.

وفي هذا الصدد كان دانتي يفكر في إيطاليا كوحدة سياسية . مع ذلك فان اسم إيطاليا لا يرد في كتابه "الملكية" برمته إلا في إشارتين عابرتين . وحتى في هاتين الإشارتين فان من الواضح أن آماله السياسية فيما يتعلق بإيطاليا لا تتجاوز الحفاظ على الاستقلال الذاتي المحلي و الإقليمي تحت إشراف ممثلي الإمبراطور وتعاون مثمر بين الحكومة الإمبراطورية و الجمهوريات والحكام في إيطاليا، و الإمبراطور الذي يتحدث عنه دانتي في هذا السياق هو بالتأكيد الإمبراطور الروماني ، نموذج اقترحه دانتي للإمبراطور هنري السابع.

كان دانتي يتصور التاريخ تجليا لإرادة الرب، واخذ من التاريخ ذلك الجزء الذي بدا له الأكثر أهمية من كل الأجزاء الأخرى، وهو تاريخ الشعب الروماني في تقدمه نحو اكتساب السيادة على كل البشر في زمن الإمبراطورية، فالشعب الروماني هنا منظور إليه باعتباره أداة التصميم الإلهي، وأما الماضي الوثني الجيد الذي كان مرسوما ومقدرا فانه معروض من خلال حالة الدولة المعاصرة المفجعة وصولا الى مستقبل يبرهن من خلال قراءة صحيحة للتاريخ على انه مطابق لإرادة الرب.

وفي رؤيته للحل الحقيقي لمشكلة العلاقة بين السلطتين الروحية الدينية و الزمنية العلمانية، فقد دعا الى الفصل الكامل بين السلطتين، بل حتى انه قال بزوال الدولة عند بلوغ ما اسماه "وحدة السلام"، وتوقع بزوال الشأن السياسي بأكمله. وعند دانتي تتمثل الفكرة الوسيطة المهيمنة عن السلام وكلمة السلام عنده كلمة مفتاحية لفهم موقفه إزاء الوضع السياسي، ومعنى السلام عنده استعادة العدالة بين البشر.

وعلى الرغم من تأكيد دانتي بأن القوة (السلطة) في الحالتين الزمنية والدينية، هي من الرب فانه اعتقد بان سلطة بطرس وسلطة قيصر هما كالكنيسة و الإمبراطورية (شبههما شعريا بالشمس والقمر، كل منهما هي العليا في مجالها). وقد وقع الخلاف عندما أعلن البابا في زمن دانتي نفسه أن السلطة الزمنية تستمد فعلا من الرب إنما عبر قناة السلطة الروحية ولكن من المهم معرفة إن دانتي لم يتصور إمكان الفصل التام بين السلطتين إلا بعد أن تتحقق السلطة (الحكومة) العالمية.

تأثر تشكُّل النظريات السياسية في العصور الوسطى بالمكانة التي شغرتها الإمبراطورية الرومانية ولا زالت تحتلها الى وقت دانتي، رغم سلطة كنيسة روما الطاغية . وظلت فكرة قيام إمبراطورية موحدة وعالم مسيحي متماسك باقية (فيشر ، 1970 ، صفحة 11).

1- تمجيد دانتي للإمبراطورية :

كانت لدانتي في الفكر السياسي، مُعتقداته التي ترمي الى تُقويض التطلعات الزمنية للكنيسة، وتحرير السلطة الزمنية من تأثير نفوذ الكنيسة وكذلك الى ازدياد فَرَضِ سُلطة الأباطرة على الباباوات. بعد أن كان الباباوات في زمانه وطوال الألف عام التي خلت، يُتوجون الملوك والأباطرة. هذا على الرغم من أنه ينحدر من عائلة جلفية مناصرة للبابوية. وعُرف عن دانتي أن تَمَرسه السياسي كان على يد الجلفيين البيض إلا أن ولاءه لم يكن للبابا بسبب معارضته الدائمة للتدخل البابوي في إقليم توسكانيا (. Braida , 2004 , p.77).

والرغبة الشديدة في إعادة الإمبراطورية العالمية، و ضرورة وجودها لتحقيق السعادة الإنسانية، هو موضوع مركزي في الكوميديا (Davis , 2007 , p.258) . وقد طرح دانتي قضية الحكم في كتابه "في الملكية" على الوجه التالي: " يجب أن تدبر معنى الملكية الزمنية (أي الدنيوية أو العلمانية)، وما نموذجها وغايتها. فالملكية الزمنية إذن، وهي ما يسمى بالإمبراطورية، هي إمارة واحدة تمتد سلطانها على كل الناس في وجودهم الزمني أو على كل شيء يُقاس بالزمن أي مُتصل بالدينا ومن هنا تنشأ ثلاثة مباحث في هذا الصدد : فيجب أولاً أن نبحت وندرس ما إذا كانت السلطة الزمنية ضرورية لسعادة العالم، ثم نبحت ثانياً إن كان الرومان قد أصابوا بإقامة إمبراطوريتهم، ثم نبحت ثالثاً إن كانت سلطة الملك تعتمد على الله مباشرة أو تعتمد على ممثل آخر لله" (Dante , 1992 , pp.05-06). وفي الكوميديا أيضاً، يستخدم دانتي من حين إلى حين اللفظة اللاتينية للإمبراطورية "Imperium" مع إحساسه في قرارة نفسه بِبُعدها الإقليمي، عندما يَصِفُ إيطاليا بجنة الإمبراطورية، (Dante , 1992 , P.142) والمعنى الأساسي لهذه الكلمة " امبيريوم " هو السلطة العالمية . هذه السلطة التي حازها الشعب الروماني تحت لواء الجمهورية ، وبعد ذلك حازها الإمبراطور أو المكتب الإمبراطوري الذي سماه دانتي ب" الامبرياتوس " . و حامل هذا المنصب وفقاً لدانتي، مُختار من طرف مصدر إلهي مباشر وهو الله، واختياره في عهد دانتي، كان يتم بواسطة الناخبين الألمان، ومع ذلك فإنهم استغلوا كون اختيار الإمبراطور مرده الإله نفسه إلى تسخيره نحو أطماعهم و نزواتهم . ومُبتغى هذه الإمبراطورية هو استعمال السلطة السياسية لتنظيم أمور العامة و المجتمع البشري . (Davis , 2007 , p.259)

والغاية النهائية لحالة المدنية التي أرادها الله للإنسان هي عند دانتي إذن وحدة الجنس البشري تحت رايات السلام . ومادامت هناك غاية واحدة للجنس الإنساني فلا مناص من أن تقوده قيادة واحدة، أمير أو ملك أو إمبراطور واحد وتُعَصَّب دانتي لفكرة الإمبراطورية الموحدة، لم يكن إلا لتمجيده لنظرية السلام العام (Carter , 1943 , p.350)، حتى انه في تعطشه لهذا السلام تصدح هذه الكلمة في كافة أنحاء الكوميديا ، خمس مرات في الجحيم ، سبع عشرة مرة في المطهر ، و أربع عشرة مرة في الفردوس. و مشروع السلام الكوني لا يتحقق في نظريته السياسية إلا بوجود إمبراطورية عالمية ، حتى أنه لما شعر بأن الكنيسة ستعيق قضية السلام بتدخلها في النزاعات السياسية آنذاك وجه ضدها هجوماً لاذعاً لتدخلها في الشؤون العلمانية. وعنده أن مجتمعات القبائل ثم الدويلات ثم القوميات ليست عنده إلا خطوات في طريق إقامة إمبراطورية عالمية (Sills , 1914 , p.152) .

ويرى الشاعر في الملكية، أن منطق كمال الله وكمال الطبيعة، يمنع أن يكون هناك صراع بين الكائنات، لأن الصراع دليل النقص. وحيثما وُجد الصراع فلا بد من وجود حكمٍ أو قاضٍ يحسم هذا الصراع ويؤكد ذلك بقوله: " فلو وجد أميران، فلن يخضع أحدهما للآخر، وهنا قد ينشأ الصراع، إما بسبب خطأ منهما أو بسبب خطأ يرتكبه رعاياهما، وهذا أمر واضح فلا بد عندئذ من وجود حكم يفصل بينهما. ولما كان كل منهما لا يعترف بالآخر، فليس بينهما من يخضع للآخر لأن الأنداد لا سلطان لبعضهم على البعض الآخر، فلا بد أن يوجد أمير ثالث يتمتع باختصاص أوسع من اختصاص كل منهما، يستطيع بما له من حق أن يفرض إمارته عليهما معا، وهذا يجعل الملكية لازمة للعالم. وقد أدرك أرسطو هذا المنطق حين قال : لاشيء يجب الاعوجاج ، وتعدد الإمارات أمر سيئ ، ولذا فقد لزم أن يكون هناك أمير واحد" (Dante , 1992 , pp.29-30).

وهذا المنطق نفسه وَضَّحَهُ في النشيد الثامن من الفردوس، حيث يُفدَحُ مختلف الحكومات السيئة في أوروبا التي أفضى بها النزاع إلى تعدد الدول القومية والذي أدى بالضرورة إلى الصراعات التي لا حل لها إلا بقيام حكومة علمية (Dante , 1992 , pp.155-176). وانطلاقاً من النشيد الذي يليه وهو تقرير شديد للباباوات، ينزع دانتي سطوة السلطة الروحية على السلطة الدنيوية ويسحب من الباباوات احتكارهم للوكالة عن الله التي يفوضون بموجبها الأباطرة حق الحكم الإلهي في الأرض. وهو يؤسس نظريته على أن الإمبراطور الدنيوي يتلقى تفويضه في السيادة من الله مباشرة لا عن طريق البابا أو ممثله الروحي، مما يجعله مباشرة أداة الله في تحقيق السلام في الأرض وأداته أيضاً في تحقيق الفضائل الدنيوية كالعدالة والخير والحرية بين الناس (Dante , 1992 , pp.175-176) . وهذه المبادئ عند دانتي، لن تتوفر إلا بانفراد حاكم أعلى بالسلطة الدنيوية، ولا يمكن أن تتحقق في ظل أمراء أنداد متعددين يحكمون إمارات أو دوقيات أو ولايات مستقلة مختلفة متنازعة، كل منها تستمد شرعية سيادتها وسلطانها الدنيوي من الباباوات الذين كانوا يتلاعبون بهم (Mancusi-Ungaro , 1987 , p.50). حتى يفتكوا السلطة الزمنية ما يسمح لهم بالجمع بين الزعامة الدنيوية والدنيوية في ذات الحين. وفي حوار صريح لدانتي في الفردوس مع "شارل مارتل" Charles Martel* يبين له هذا الأخير أن نجاح حكمه الزمني منوط أساساً باستقلالية كاملة لسلطاته وشارل مارتل هو جرمانى الأصل، ينتمي إلى عنصر الفرنجة، تولى حجابة القصر في عهد الميروفنجيين الفرنجة بين عامي (714-741م) . اشتهر بدوره في صد حركة الفتح الإسلامي نحو شمال فرنسا حيث أنزل بالجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الغافقي سنة 731م هزيمة ساحقة في معركة بواتيه جنوب نهر اللوار، والتي اشتهرت بمعركة بلاط الشهداء. وعُرف عنه أيضاً أن في نفس العام استولى على أراضي الكنيسة ليوزعها على جنوده مما أثار غضب رجال الدين. كما بادر بإصلاحات طالت كنيسة الفرنج (Encyclopedia , 2006 , p.126).

يتحدث دانتي في كثير من الأبيات عن النظام الملكي، وهو يقصد به النظام الإمبراطوري ولاسيما النظام الثيوقراطي* الذي عرفته الإمبراطورية الرومانية (Mancusi-Ungaro , 1987 , p.91). والنظام الثيوقراطي هو نظام يرد السلطة السياسية في الجماعة إلى أساس ديني أو غيبي، وله صور كثيرة، منها ما يرى أن الحاكم نفسه من طبيعة إلهية مقدسة، وبعضها يأتي في شكل نظرية الحق الإلهي المباشر للحكام، ومؤداها أن الله يتدخل مباشرة لاختيار شخص الحاكم . للمزيد حول هذا النظام (موسوعة السياسة ، 1988 ، ص.928-929).

ففي العصور الوسطى شاع تفسير مسيحي لسقوط الإمبراطورية الرومانية ، بحيث نُسب سببُ تصدعها غضب إلهي حلَّ عليهم لأنهم ضلوا وحادوا عن طريق الله بجرورهم وظلمهم، ولذا أرسل الله عليهم البرابرة من كل جانب فخرّبوا الإمبراطورية وعاثوا فيها فسادا. و قد بقي هذا التفسير هو التفسير المعتمد في العالم المسيحي طيلة ألف عام، وبهذا التفسير قضت الكنيسة على كل شعور قومي في نفوس الإيطاليين. و دانتي نفسه، يعترف في أبيات كثيرة من الكوميديا وكذا الباب الثاني من كتابه "في الملكية"، أنه كان في البداية فريسة لهذا الاعتقاد الشائع ، (Dante , 1992 , pp.67-70) ، لكن اختياره للشاعر اللاتيني فرجيل كمرشد في الحميم والمطهر له مغزى في هذا الجانب، ذلك أن فرجيل أُشْتُهَر بأنه شاعر للإمبراطورية ووضع كتاب الإنيادا لتمجيد سلالة الأباطرة، وتأكيد تواصلها عبر الأجيال، على أساس وحدتها السياسية والحضارية (Mancusi-Ungaro , 1987, pp.160-161).

أما دانتي، فقد شكلت الإمبراطورية الرومانية جانبا من همومه، ولم يكن اهتمامه محصورا ضمن سلالة دون غيرها، ولا حتى بالملوك الإيطاليين وحدهم. وكانت الإمبراطورية في ظل تصوره تدرج في إطار مشروع شامل للسلام الكوني. ويظهر من خلال الكوميديا أن دانتي حاول محاكاة فرجيل في حالتين، في الأولى عند تمجيده للإمبراطور هنري السابع كونت اللوكسمبورغ، والثانية عند ذكره لِرأعيه "الكان غراندي دلا سكالالا" (Ascoli , 2008 , p16) .

على أن مبدأ تطبيق القوانين و استتباب أركان النظام وفق تصور دانتي يحتل موقعا أساسيا لأي كيان سياسي لتحقيق السلام المنشود و لحساسية وخطورة هذا الموضوع أفرد له دانتي أبياتا في جزء المطهر وفي نشيده السادس وعن ذلك قال :

" إن القوانين لقائمة ولكن من ذا الذي يطبقها؟"

وأیضا : " وماذا يجدي أن يصلح جستنيان منك العنان"

" إذا ما حلا السرج من الفارس ؟"

" وبغيا به قد صار خزيك أهون" (Dante , 1992 , pp.139-140).

وقد قصد دانتي "بالسرج الخالي"، أنه لا يوجد إمبراطور يجعل للقوانين قيمة عملية، وبالنسبة له إن قوانين الإمبراطور البيزنطي "جستنيان" Justinien، كانت كافية لإقرار السلام ، و لو لم توجد هذه القوانين لكان خزي إيطاليا أهون، و يعترف دانتي هنا بضرورة وجود حكومة قوية على رأسها إمبراطور تحكم طبقا للقانون مستهجننا في نفس الوقت عدم وجود حكومة قوية في وقته تحترم تلك التشريعات (Rolbiecki , 1921 , pp.41-42) . ويرى أن نور القوانين، هو بحد ذاته يُجسد نور الإمبراطورية التي لا تستطيع أن تُلم بكل تفصيلات الحياة الإنسانية و تعقيدها دون قوانين خاصة ويتحدث دانتي في بداية هذا النشيد عن "جستنيان" و عظمته كإمبراطور ، إضافة إلى عظمة التشريعات التي تركها (Dante , 1992 , p.136) .

واصل دانتي تمجيده للإمبراطورية على طول الخط ورمي في دركات الحميم وأشدّها وطأة كل من خان هذا النظام، و ضاعف اللعنات ضد المتمردين على الإمبراطورية (Dante , 1992 , pp.800-801). وكانت فكرة وجود

إمبراطور موحد تمثل معقد آمال دانتي السياسية لأنها تجلب السلام للعالم، يدفعه في ذلك عاطفة مشوبة ببطلوات الرومان القدماء و كان دانتي ينظر إلى الرومان أنهم هم شعب الله المختار الثاني ، و أن تأسيسهم للإمبراطورية ما هو إلا جزء من العناية الإلهية التي كانت بصدد التحضير لبعث السيد المسيح و تأسيس الكنيسة (Dante , 1996 , p.50). وعلى الرغم من وجوده في المنفى، فإن وطنيته وحياله الفياض جعلاه يحلم بأمة متجددة تحت قيادة هنري السابع اللكسمبورغ، واصفا إياه بالمنقذ القادم لايطاليا، في حين يصف رودولف هابسبورغ الإمبراطور الذي كان قبله، بالكثير الجالس وحده، بعد فشله في إقرار السلام في ايطاليا (Bryce , 1866 , pp.214-215).

2- حججه في سمو الإمبراطورية :

أتحدت سياسة دانتي في الهدف مع السياسة التي اعتنقها الموالمون للإمبراطورية منذ اندلاع النزاع مع الكنيسة في عهد الإمبراطور هنري الرابع Henry IV (1056-1105م) و البابا جريجوار السابع، للتدليل على أن سلطة الإمبراطور مستمدة من الله مباشرة، و هي بذلك مُستقلة عن الكنيسة . وقد اعترف دانتي بسلطة البابا الروحية اعترافا كاملا، و لكنه في الكوميديا، مثل كل نصير للإمبراطورية، تمسك بنظرية جيلاسيوس *Gélase الذي يُعرف بالقدّيس جيلاسيوس الأول، والذي وُلد في روما وتولى عرش البابوية من سنة 492م الى 496م . له رسالة مشهورة يوضح فيها العلاقة بين السلطة الدنيوية و الدنيوية . إذ كتب يقول : بأن للقساوسة و الملوك مجالين مختلفين للعمل و يجب ألا يتعارضوا . وكان الدافع لكتابة الرسالة، خلافا قديما مع الإمبراطور البيزنطي أناستاسيوس الأول Anastase I^{er} (491-518م) حول حقوق الإمبراطور في إصدار مراسيم دينية (Nemo , 1998 , p.778) . أما جستنيان فهو إمبراطور بيزنطي حكم منذ عام 527م حتى وفاته سنة 565م، جمع القوانين الرومانية في قانون أطلق عليه "مجموعة القوانين المدنية" وكذا "مدونة جستنيان" و هي التي قصدها دانتي في هذه الأبيات، وشكل هذا القانون أساسا للأنظمة القضائية لدى كثير من الأمم اليوم (Encyclopedia , 2006 , pp.388-389) ، التي تفيد بأنه لا يملك السلطتين متحدتين سوى الله و يرد لفظ الإمبراطور في الكثير من المواطن من أعمال دانتي وتجمع كل التفسير اللاهوتية للكوميديا، أن هناك موقعين فقط يعينان الله وأنه صاحب السلطة (Dante , 1992 , p.253) ، ومن ثم، فليس هناك بين البشر من يعلو على سلطة الإمبراطور . و البيت السابق، دليل أكبر على تمسك دانتي بإعادة دراسة القانون الروماني الذي يجعل الإمبراطورية في عهده، امتدادا للإمبراطورية الرومانية، وبالتالي، وريثة للسلطة العالمية التي كانت حقا من حقوق روما . غير أن طريقة دانتي في عرض هذا الرأي أخذت لونا دينيا لاهوتيا و أخلاقيا أكثر منه قانونيا خاصة في النشيد السادس عشر من المطهر (Woodhouse , 1997 , p.01).

وقد جعل دانتي للإنسانية، غايتين كبيرين هما حكم يوصل إلى مُتعة رؤية الله في السماء، يجاوره حكم يسعى إلى تحقيق السعادة الأرضية، أي حُكمان مُتلازمان، الروحاني يتكفل به البابا و الثاني يتولاها الإمبراطور. يستمد الأول سنده و مرجعيته من اللاهوت، أما الثاني فإنه يستوحى أسسه من الفلسفة . ومن هذا المنظور وفق الشاعر فإن الإمبراطورية والفلسفة ينظران الى الأرض، فيما يتطلع اللاهوت و الكنيسة إلى السماء. وفي ممارسته لصلاحياته لا تعلق عن سلطته سلطة سواها، فهي تنحدر مباشرة من المنبع الكوني للسيادة، و تظهر هذه الفكرة في النشيد السادس عشر من المطهر على لسان "ماركو لومباردو" Marco Lombardo وهو نبيل لومباردي عاش في البندقية القرن 13م، وعُرف بحصالة الحميدة، لذا اختاره دانتي لبيان وظيفة كل من البابا و الإمبراطور، وتمييزا لاستقلال السلطتين. وتبرز كذلك في

النشيد في مشهد وصول عربة نصر الكنيسة و انهيارها اللاحق تحت ضربات النسر والتنين وبأني حينئذ كلام بياتريشي لتقول لدانتي بلغة الأحاجي، أن منقذا سيأتي ويخلص العربة من مغتصبيها وهذا للتعبير عن تنبؤ بظهور هنري السابع، (Dante , 1992 , pp. 346-368) الذي كان دانتي يعتقد عليه الأمل في إنقاذ الإمبراطورية وإعادة الكنيسة إلى مكانها الحق وإحلال السلام الكوني، (Mancusi-Ungaro , p.67) وعندما يسألها دانتي عن بواعث هذا الغموض ، تقول له أن عليه أن يعرف حقيقة المدرسة التي اتبعها ، أي المسافة الفاصلة بين الكلام الإلهي و الفلسفي. (Kantorowicz , 1997 , p.484)

نالت هذه الأطروحة الجريئة إدانة رسمية متوقعة من طرف رجال الدين، و أحرقت الكنيسة كتابه "في الملكية" بعد قرن من صدوره . وضمن ولعه بتبليس الأفكار لبوس الصور أمعن دانتي في هذا الكتاب في تشبيه البابا و الإمبراطور بالشمس والقمر ، باعتبارهما كوكبين لديه، ثم إن قُرب القمر من الأرض يمنح الإمبراطور الذي يرمز إليه، دلالة دنيوية أو أرضية واضحة . غير أنه ذهب بعيدا في هذا التصوير في النشيد السادس عشر من المطهر، حينما شبههما بشمسين اثنتين وعبر عن ذلك بقوله :

" وروما التي أصلحت العالم قديما

كان لها شمسان ، بإحدهما تنير

طريق الدنيا ، وبالثانية جادة الله". (دانتي ، الكوميديا الإلهية ، ص.224-228)

ومعنى الأبيات، أن الإمبراطور و البابا، يُمثلان نوعين مختلفين من السلطة التي لا يُمكن المساسُ بهما حيث السلطة الزمنية للإمبراطور تنتزل مباشرة من الله من دون توسط الكنيسة. و تظهر في هذا النشيد، مشاكل الكنيسة والنتائج الاجتماعية المنجزة عنها، وتأثيراتها المدمرة على العالم، ثم يُدمج هنا اسم الإمبراطور بهدف إبراز انه هو الوحيد الضامن للسلام العالمي . ويعرض حقائق تاريخية معاصرة مثل صراع الإمبراطور فريديريك الثاني مع البابوية إعرابا عن التداخل الشائك بين السلطتين . (Ascoli , pp.236-237)

وتختلف الأفكار الواردة في النشيد عما ورد في كتاب "في الملكية" ، حيث يدعو في النشيد إلى احترام السلطة الإمبراطورية في شكلها المثالي، (Solmi , 1922 , p.31) أين تكون السلطة الزمنية العلمانية في يد الإمبراطور وحده دون تدخل البابا ممثل السلطة الروحية، ورأى فيه أيضا أن الحكومة السيئة هي التي تُفرز الاضطراب بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية، وأن اتحادهما في شخص واحد يعطل مصلحة السلطتين. (Honess , 2007 , p.13) وقد عبر دانتي عن هذا المشهد بصورة رمزية باتحاد السيف " رمز الإمبراطورية " بالعكاز " رمز البابوية " في يد واحدة، حيث لا تخشى شمس الإمبراطورية من شمس البابوية شيئا، مما يؤدي حتما إلى استثناء الشر و الفساد . وهكذا، فقد آمن دانتي بضرورة الفصل بين السلطتين الزمنية والروحية أي بين البابوية و الإمبراطورية تسبح كل منهما في فلكتها الخاص، وقد فُتد بذلك وبشكل صريح مرسوم البابا بونيفاس الثامن الذي يقضي بخضوع السلطة الزمنية للسلطة الروحية. (Honess , 2007 , p.13)

قائمة المصادر والمراجع:

- اليجيري (دانتي) ، الكوميديا الإلهية ، ترجمة حسن عثمان ، دار المعارف ، القاهرة ، الجزء الثاني : المطهر ، 1966 .
فيشر (هيررت) ، أصول التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الثورة الفرنسية ، ترجمة زينب عصمت راشد ، ط.3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970 .
Braida (Antonella) , **Dante and the Romantics** , Palgrave Mac.Millan , N.Y. 2004.
Davis (Charles Till) , **Dante and the Empire** , in Cambridge Companion to Dante.
Dante , Com. , a cura di M.A. Chiavacci , Purg.06.105 .
Carter (Barbara Barclay) , **Dante's Political Ideas** , in The Review of Politics, Vol. 5, No. 3 (Jul., 1943),
Sills (Kenneth C. M.) , **The Idea of Universal Peace in the Works of Virgil and Dante** , in The Classical Journal, Vol. 9, No. 4 (Jan., 1914), p.152.
Mancusi-Ungaro (Donna) , Dante and the Empire , Peter Lang publishing , N.Y . , 1987
Encyclopedia of key figures of Medieval Europe , Routledge , London , 2006 .
Ascoli (Albert Russell) , **Dante and the making of a modern author** , C.U.P. ,2008
Joseph Rolbiecki (John) , **The political philosophy of Dante Alighieri** , salve regina press, Washington , 1921.
Alighieri (Dante) , **The Divine Comedy of Dante Alighieri** , edited and translated by Robert M.Durling , Oxford university press , N.Y. , 1996 , vol.01, Inf .canto.02 .
Bryce (James) , **The Holy Roman Empire** , Mac.millan , N.Y. , 1866.

Encyclopedia of key figures of Medieval Europe , Routledge , London ,
2006.

Woodhouse (John Robert) , **Dante and Governance** , Oxford university
press , Great Britain , 1997.

Nemo (Philippe), **Histoire des idées politiques dans l'antiquité et au
moyen âge** , P.U.F. édition , 1998.

Kantorowicz (Ernst H.) , **The king's two Bodies** , a study in Mediaeval
political theology , Princeton university press , Princeton , 7th edition ,
1997

Solmi (Arrigo) , **Il Pensiero politico di Dante** , la Voce edittrice ,⁽²⁴⁾
Firenze , 1922.

Honess (Claire E.) , **Dante Alighieri : Four political letters** , Modern⁽²⁵⁾
Humanities Research Association , London , 2007 .